

قضية الصلب والتثليث عند النصارى وموقف الإسلام منها

بقلم
الدكتور / إبراهيم عبدالرحمن عتلم
أستاذ الدعوة المساعد

1. Introduction

2. Methodology

3. Results

4. Discussion

5. Conclusion

6. References

7. Appendix

8. Acknowledgments

9. Contact Information

10. Declaration of Interest

11. Funding

12. Data Availability

13. Ethics Approval

14. Author Contributions

الحمد لله الواحد الأحد .. انفراد هذه بالإلهية .. واختص دون سواه بكل صفات الكمال والجلال .. فرد صمد .. لم يلد .. ولم يولد .. ولم يكن له كفواً أحد .. وأشهد أن لا إله إلا الله وهذه لأشريك له تنزه عن الصاحبة والولد .. وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد أرسله ربه بالهدى وبين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .. اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أئمة الهدى ومصابيح الرشاد .

« أما بعد »

لقد هبط آدم عليه السلام إلى الأرض ليتولى مهمة الخلافة بعد أن اجتباه ربه وقاب عليه وهدي ، وبذل عصيانه إلى طاعة ، وغايبته إلى هدى ، قال جل شأنه :
 { ... وحسن آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدي ، قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو ، فإذا ياتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى } ^(١) فبدأت الأسرة الإنسانية مسيرتها على التوحيد المطلق لله رب العالمين ترجمة وتحقيقاً للطيرة التي فطر الله الناس عليها ، وأخبر عنها بقوله سبحانه :
 [وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا .. أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين] ^(٢) .
 واستمرت البشرية على التوحيد والوحدة رداً من الزمن دون اختلاف .

أول اختلاف فى الأسرة الإنسانية :

ولكن سرعان ما دب الخلاف ، وتطرق الانحراف بين أفراد الأسرة الواحدة حين فرح الإنسان بعلمه ، واستقل بعقله ، وبعد عن ربه ، ومال إلى شيطانه .. « ولكنه أخذ إلى الأرض واتبع هواه » ^(٣) .

فكان أول اختلاف فى الأسرة البشرية - بين الأفراد على الأرض - بسبب متاع الدنيا وحطام الأرض : كما ذكره رب العزة فى قصة ابنى آدم بالحق . لما بقى « قابيل » بعلمه ، وشيطانه ، ودل بزرعه أو خمره أو قريانه ، وأراد أن ينفرد عن أخيه « هابيل » بسلطانه ...

فقتله عن ظم ، وقصد ، وإنذار ، وهو يعلم الجزاء ، والنظم ، والإثم والنار .. بل

(١) سورة طه : ١٢١ ، ١٢٢ .

(٢) سورة الأعراف : ١٧٢ .

(٣) سورة يونس الآية : ٦٩ .

ويعلم عقاب الله القوي الجبار ..

ولذا عاقبه الله في الدنيا بالضرار .

أول إنحراف إيماني في الأمة الإنسانية :

ثم بدأ الاختلاف يدب إلى الأمة الواحدة ، بعد أن تكونت الأمة على التوحيد .. كما بدأ الشقاق والانحراف - من قبل - يتطرقان إلى الأسرة الإنسانية في أوائل التكوين كما أشرت .. وقد سجل ذلك رب العزة في كتابه الحق .. (وما كان الناس إلا أمة واحدة ، فاختلوا ، وأولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون) (١) .

وتوالى الطلقات النبوية ، كدين نوح ، وملة إبراهيم ، وموسى ، وعيسى .. وكان تمامها الإسلام .

وأُنزل الله سبحانه الكتب ، الصحف ، والزبور ، والتوراة ، والإنجيل .. وكان تمامها هو القرآن .

والغاية من هذه الرسائل السماوية التي تنزلت من قبل الحق تبارك وتعالى وأختص بها - من اصطفى من عباده - أنبياء ورسله هي : أن يعرف الناس أن لهذا الكون إلها واحدا .. مالك الملك .. خالق كل شيء .. واجب الوجود واحد في ذاته وصفاته .. وأن هذا الإله هو الذي يجب أن يتوجه إليه الناس بالعبادة .. فيعبده ولا يشركوا به شيئا .

ومن أجل هذه الغاية توالت رسائل الله تتدرى على البشرية كما قال الحق تبارك وتعالى : (ثم أرسلنا رسلكم) (٢) فما من نبي ولا رسول إلا وقال لقومه :

(يا قوم اعبدوا الله ماله من غيري) (٣) وهذا ما أخبر الحق تبارك وتعالى به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (٤) .

هكذا نرى أن الهدف الأساسي من كل الرسائل السماوية من لدن آدم ونوح عليهما السلام إلى خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. التوحيد المطلق لله رب العالمين .. الإيمان بالله وحده ، وإفراده سبحانه بالألوهية ، وتنزيهه عن الشريك ، والصاحبة والولد ..

(١) سورة الأعراف جزء من الآية ١٧٦ . (٢) سورة المؤمنون من الآية ٤١ .

(٣) سورة هود من الآية ٥٠ . (٤) سورة الأنبياء ٢٥ .

والمسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، واحد من هؤلاء المصطفين الأخيار الذين كلفوا بتبليغ دعوة التوحيد إلى الناس ، كانت رسالته شأن من سبقها من الرسلات السماوية - الدعوة - إلى التوحيد المطلق لله رب العالمين ، والإيمان به وحده ، وإفراذه سبحانه بالأكومية ، وتتنزهه عن وجل عن الشريك والصاحبة والولد ، فقد دعا عيسى عليه السلام قومه بنى إسرائيل إلى التوحيد قائلاً : { يا بنى إسرائيل

اعبدوا الله ربى وربكم } ^(١) . وبين لهم عاقبة الشرك قائلاً : { إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار } ^(٢) .

تلك كانت رسالة المسيح الحقيقية التي دعا قومه إليها في أثناء حياته وأمن بها الحواريون - تلاميذ المسيح - وأعلنوا ذلك صراحة إذ قالوا لعيسى عليه السلام كما أخبر القرآن الكريم { آمنا بالله وأشهد باننا مسلمون } ^(٣) .

ولم يكن عيسى بهذه الدعوة خارجاً عما جاء به موسى لبنى إسرائيل قومه ، ولكن جاء يمشى على شريعة موسى عليه السلام كما هو ظاهر من نصوص القرآن الكريم حيث قال المسيح لبنى إسرائيل : { يا بنى إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة } ^(٤) .

وما جاء من نصوص إنجيلية حيث يقول المسيح لتلاميذه : « لا تظنوا أنني أتيت لأهل الناموس والأنبياء .. إني لم أتى لأحل .. لكن لأتم » ^(٥) وكان الناموس الموسوي يرتكز أساساً على التوحيد ، فجاء عيسى ليتم ما جاء به موسى ، وليكمل ذلك الناموس الموسوي الداعي إلى التوحيد المطلق لله رب العالمين ..

وأخذ عيسى عليه السلام ينشر دعوته مبيناً لبنى إسرائيل أن الحياة الأبدية أن يعرف الناس الإله الحقيقي .. الواحد الأحد .. وهذا الإله هو الذي أرسله إليهم كما جاء ذلك في إنجيل يوحنا حيث قال المسيح : « إن الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك والذي أرسلته يسوع المسيح » ^(٦) .

وترسخت هذه الدعوة وتلك الحقيقة في حياة عيسى عليه السلام وبعد رفعه حدثت

(١) : سورة المائدة ٧٢ .

(٢) : سورة آل عمران من الآية ٥٢ .

(٣) : سورة النصف من الآية ٦ .

(٤) : إنجيل متى : ١٧ .

(٥) : إنجيل يوحنا : ١٧ : ٣ .

أحداث وتغيرت أمور ونزل بالمسيحية وأصحابها ما نزل ، وحل بها ما حل من الإضطهادات والكوارث التي كان لها أثر كبير في الانحراف عن الدعوة الحق التي دعا إليها عيسى عليه السلام سيراً على نهج إخوانه المرسلين الذين سبقوه وهي التوحيد الكامل الذي جاء به سائر الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله ، وأرسلهم لهداية الناس ومنهم المسيح ، قال تعالى : { شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه .. } (١)

والقرآن الكريم وهو آخر كتاب نزل من عند الله مهيمناً على كل ما نزل من السماء ومنهجاً باتقيا خالداً تكفل الله بحفظه من التحريف والتغيير والتبديل يلخص على أن عقيدة المسيح ودعوته قائمة على التوحيد الكامل ، التوحيد بكل شعبه : التوحيد في العبادة : فلا يعبد إلا الله ، والتوحيد في التكوين : فخالق السماء والأرض وما بينهما هو الله وحده لا شريك له ، والتوحيد في الذات والصفات : فليست ذاته مركبة ، وهي منزهة من مشابهة الحوادث سبحانه وتعالى ، وهذا ما سجله القرآن وقاله الحق عز وجل حكاية عما يكون من عيسى عليه السلام يوم القيامة مجاورة بينه وبين ربه : { وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق .. إن كنت قلته فقد علمته .. تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم } (٢)

عقيدة صليب المسيح

١- بيان عقيدة الصليب

اتفق النصارى على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم على عقيدة صليب المسيح - وكذلك عقيدة التثليث كما سيأتي بعد -

واعتقد النصارى أن من لم يؤمن بصليب المسيح فقد كفر ، وسأضع بين يدي القارئ الكريم هذه العقيدة وقيل ذلك أورد السبب في الاعتقاد بها .. وأصول هذه العقيدة وجذورها قبل المسيحية .. ثم الواقع التاريخي لحادثة الصليب كما ورد في

(١) سورة الشورى من الآية : ١٣ .

(٢) سورة المائدة الآيات : ١١٦ ، ١١٧ .

الإنجيل .

والواقع أن النصارى بنوا عقيدتهم في الصلب على ما جاء من نصوص إنجيلية لديهم حيث جاء في رسالة يوحنا الأولى : « الله محبة ، ومن يثبت في المحبة يثبت في الله ، والله فيه » رسالة يوحنا الأولى (١ : ٤) .

فقد زعم النصارى أن محبة الله ظهرت في تدبيره طريق الخلاص للعالم : لأن من عهد سقوط آدم في الخطيئة وميوطه هو ونيته إلى الدنيا بسبب تلك الخطيئة ، ولكن الله من فرط محبته وفيض نعمته رأى أن يقربه إليه بعد هذا الابتعاد ، فأرسل بهذه الغاية ابنه الوحيد إلى العالم ليخلص العالم .

ولما كان قد لبس الله - في زعم النصارى - إلى أن القصاص من بني آدم المخطئين بالوراثه أرسل ابنه رحمة منه في صورة جسد من أجساد المخطئين ليقيم بتقديم هذا الجسد للقصاص والعقاب فداء وكفارة عن سائر البشر .

يقول النص : « فإله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطيئة ، ولأهل الخطيئة وإن الخطيئة في الجسد لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين » (٢)

فبسبب الخطيئة التي اكتسبها الجسد الآدمي كانت الخطيئة فينا يستوجب القصاص بالعقاب من فاعلها ، فلأجل ذلك تجسد اللاهوت أي حل في جسد بشري من أجساد الناس (٣) ، ولما كان كذلك سمي ناسوتاً نسبة إلى الناس ، كما سمي الجزء اللاهوتي « باللاهوت » نسبة إلى الإله ، فلأن الإبن نزل من عند أبيه وحل في أحشاء مريم واتحد بالناسوت اتحاداً كاملاً ، وخرج من بطنها إنساناً كاملاً ولاهوتاً كاملاً - ليعطى الناس ويدهوهم إلى التوبة من الخطيئة (٤) .

فالنصارى اعتماداً على هذه النصوص وغيرها يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن المسيح مات صلماً لينوب عن آدم ونيته - ذلك : أن الله خلق آدم وأسكنه جنة عدن وأوصاه قائلاً : « من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنه يوم تأكل منها موتاً تموت » لأن أجرة الخطيئة هي موت ، (٥) .

ولكن بمقتضى رحمة الله كان العفو والصفح عن آدم - وفي تنفيذ مقتضى المطالبين

(١) سورة النازعات الآية : ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) رسالة يوحنا إلى أهل رومية (٨ - ٢) .

(٣) رسالة إلى أهل كورنثوس (٢ : ٨) .

(٤) رسالة إلى المبرانيين (١ : ٤) .

(٥) رومية (٦ : ٢٣) .

ولكن بمقتضى رحمة الله كان العفو والصفح عن آدم - وفى تنفيذ مقتضى المطلبين الموت والصفح تناقض وتضاد . فإن عفا برحمته فقد بطلت وظيفة العدل الإلهى ، وإن أقام القصاص بالموت لعدله فقد بطلت وظيفة رحمته (١) .

ومن هنا نشأت مشكلة ، وبينما كان الله يدبر ما يحقق رحمته بأدم بدون تناقض ، كان آدم يتناسل فوجدت ذريته تعمل نفس الخطيئة كما يقول بولس من أجل ذلك كافأ بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت ، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع (٢) الرسالة إلى رومية (٥ : ١٢) .

وهكذا استوجبت البشرية الموت كأدم فهم بذلك ميعنون من رحمة الله وعدله ، ولكن الرحمة أوقفت حيث امتدى الله - فى زعمهم - إلى طريقة للحل ، وهى : أن يتقدم فاد عن البشرية ، ولما كان البشر جميعا مخطئين ، ولا طاهر إلا الله ، فلا يصلح للبدية إلا هو ، والله ليس جسدا ، وهنا نشأت مشكلة أخرى هى تجسد الذات الأقدس لذلك أنزل الله ابنه ، واتخذ الإبن لنفسه جسدا إنسانا فى بطن مريم وتنفيذاً لذلك قام الإبن بتسليم نفسه للصلب مختاراً كفارة لخطايانا وبذلك تم فداؤنا وتحقق خلاصنا ، وتوافق العدل والرحمة .. وفى ذلك يقول بولس : [ولكن الله بين محبته لنا لأنه وتحن بعد خطايانا مات المسيح لأجلنا] رسالة لأهل رومية (٥ : ٨) .

هذه هى عقيدة الانصارى فى صلب المسيح - عليه السلام - وقد وردت قصة الصلب فى الأناجيل على النحو التالى :

١- فى إنجيل متى : وردت قصة الصلب فى الإصحاحين السادس والعشرين والسابع والعشرين .

٢- وفى إنجيل مرقس : وردت قصة الصلب فى الإصحاحين الرابع عشر والخامس عشر .

٣- وفى إنجيل لوقا : وردت قصة الصلب فى الإصحاحين الثانى والعشرين والثالث والعشرين .

٤- وفى إنجيل يوحنا : وردت قصة الصلب فى الإصحاحين الثامن عشر والتاسع عشر .

وهذه العقيدة تحتاج إلى البحث عن الحقيقة .. والحقيقة أنهم ما قتلوه وما صلبوه ..

(١) إنجيل يوحنا بين الإسلام والنصرانية ص ١٤٢ . محمد كريت رسالة مخطوطة كلية أصول الدين .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٢ .

[بل راعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيمًا] (١)

ونسوق الأدلة على أن هذه العقيدة غير صحيحة وهي من زعمهم ..

الأدلة على أن المسيح ما قتل وما صلب :

إننا فنزه المسيح عن تلك الإهانات التي صورتها أناجيل القوم لتلك القرية في كيفية القبض عليه وما جرى له .. وعندما نفعل ذلك فإننا من واقع إيماننا بأن عيسى

- عليه السلام - واحد من المصطفين الأخيار الذين اختارهم الله لتبليغ رسالة من رسالاته إلى البشر فكيف تليق به تلك الإهانات وقد جعله الله مباركا أينما كان كما

أخبر المسيح نفسه عن ذلك في القرآن الكريم : (وجعلني مباركا أينما كنت) (٢)

وكيف يتحدثون عن المسيح بذلك ثم يعتقدون أنه صلب وفي الوقت نفسه يتخلون

إلها بل ويرقصون تلك الخشبة التي صلب عليها الإله : إلى مكان التقديس حتى

قالوا : « الصليب هو قلب المسيحية النابض ، بل الصليب هو المسيحية ، والمسيحية

هي الصليب ، والصليب هو إعلان محبة الله التي لا حد لها للبشر » (٣) ، وإليك أيها

القارئ الكريم الأدلة التي تثبت أن المسيح ما قتل وما صلب .. وأول شهادة ودليل

على ذلك هو الواقع التاريخي لبداية تقديس الصليب .

أ- الواقع التاريخي لتقديس الصليب :

فإن الصليب لم يكن معروفا ولا مقدسا في زمن المسيح ، وكذا لدى الحواريين ولا

النصارى حتى عام ٣٢٥ م إلى هذا التاريخ القرن الرابع الميلادي إلى أن جاء

قسطنطين وجمع النصارى في مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥ م .

وفي هذا المجمع تقرر ألوهية المسيح عليه السلام بأمر قسطنطين الحاكم الروماني

الروثي (٤) ، وأخذ يجمع لهم المخططات الأثرية وأمرهم بتقديسها وتعظيمها .

يقول م . هـ بروينيت : « بدأ احترام المخططات الأثرية منذ عصر مبكر في تاريخ

الكنيسة فقد أتت هيلانة أم قسطنطين الكبير عند عودتها من اورشليم بقطعة من

الخشب ، وزعموا أنها قطعة من الصليب ، وكذلك بضعة مسامير اعتقدت أنها مما

استعمل في صلب المسيح ، وهكذا بدأ أن يكون للصور والتماثيل والأيقونات قيمة ،

(١) سورة النساء / ١٨٥ .

(٢) سورة مريم من الآية / ٣١ .

(٣) صلب المسيح وأراء الفلاسفة القسطنطينيين ص ١١٨ عرض سمعان / ط الفتية الحديثة سنة ١٩٧١ م .

(٤) عصر المجامع ص ٢٠ .

وصارت الكنائس تبني لحفظ هذه المخططات ، وأخذت الكنائس تملاً بالتماثيل والصور التي أصبحت موضوعاً للعبادة .. وعادت الأصنام الوثنية إلى الظهور ، وتحولت الصلاة من الله إلى العذراء والقديسين ^(١) .

ويقول ولي ديورانت : « كانت الكنيسة أول أمرها تكره الصور والتماثيل وتعدّها بقايا من الوثنية وتنظر بعين المقت إلى فن النحت الوثني الذي يهدف إلى تمثيل الآلهة .. ولكن بانتصار المسيحية في عهد قسطنطين لم يعظم الناس الصور التي يزعمون أنها تمثل المسيح فحسب بل عظموا معها خشبة الصليب ، حتى لقد أصبح الصليب في نظر ذوي العقول الساذجة طليعاً ذا قوة سحرية عجيبية ، وأطلق الشعب العنان لظفرته ، فحول الآثار والصور والتماثيل إلى مصبودات يسجد الناس لها ، ويقبلونها ويوقنون الشموع ويحرقون البخور أمامها » ^(٢) .

ومن هذا التاريخ - القرن الرابع الميلادي - كما ذكر علماء الكنيسة قديس المسيحيون الصليب ، وأصبح الصليب هو المسيحية ، والمسيحية هي الصليب ، ولا عجب إذا وجدنا النصارى الآن يعترفون بالصليب ويعفرون به ولسان حالهم يقول :

« حاش لي أن أفخر إلا بصليب ربنا يسوع الذي صلب به » ^(٣) ولا عجب أيضاً إذا وجدناهم يناجون الصليب في صلواتهم قائلين : « السلام عليك أيها الصليب خلص هذا الجمهور المجتمع لتقديسك ، أيها الصليب الذي أتى بالخلص للأقليات » ، وإن تعجب فعجب لهؤلاء الذين لا يفرقون بين الأب والابن والروح القدس ، والصليب

وعريم بل والقديسين حيث ينادون في الصلاة « الثالث الأقدس » ^(٤) .

والصليب ناسوت ربنا يسوع المسيح والعذراء المباركة الدائمة البتولية لجميع القديسين ، ليكن الحمد الدائم والكرامة والثناء ، ولا عجب أيضاً إذا رأينا النصارى يرسمون علامة الصليب على جباههم وصنوبرهم ، بل ويعلقون الصليب شارة على صنوبرهم ^(٥) .

وما دعى النصارى أنهم بتقديس الصليب وعبادتهم له أصبحوا يخالقون الناموس ويناقضون تعاليم عيسى فقد قال لهم عيسى : « ملعون الرجل الذي يصنع منقرشاً

(١) الكنيسة القبطية ص ٥٥ .

(٢) قصة الحضارة ج ٤ ص ١٠٤١ الإيمان ص ١٥١ ترجمة محمد بدران .

(٣) رسالة يوحنا لأهل غلاطية (٦ : ١٤) ، النصرانية دراسة مقارنة ص ١٧٩ د . محمد وجيه .

(٤) هذه الكلمة لم يكن لها أصل في النصرانية ولكنها وقعت في عقيدة المجمع الثيفالوني سنة ٣٢٥ م .

(٥) الكنيسة المسيحية في عصر الرسل ص ٢٥٥ - ألقيا يواض - أسقف القروية سنة ١٩٧٧ .

أو مصوبكاً رجسا لدى الرب صسعه ، (١)

وأوصاهم قائلاً : لا تصنع لك منحوتات ولا صورة شيء مما في السماء من فوق ولا مما في الأرض من أسفل ، ولا تسجد بهن ، ولا تعبدن ، (٢)

وبشهادة القوم على أنفسهم يرى وجه الصواب والعقل في هذه العقيدة الخشدة وهي أنها لم توجد في لكناش مدة ثلاثة أجيال الأولى قبل مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م ، ولم يأمرهم لمسوح بها ، ولم تعرف عبادة الصليب كما يقول ديورانت ، وروبيست وواره جيبيوت ، وغيرهم إلا بعد المجتمع المذكور فكانت الصور والتمائم والصلب في لكناش والأديرة والحواريات وحتى أثاث المنازل والطرز والملابس لم تحمل منها حتى قال جيبيوت تسربت إلى الكنيسة الكاثوليكية بصفانر لوثية ختمت في الركوع ، وبقاد الشموع ، وحرق البخور للقدسي والصلب ، ورسخ استخدام التماثيل والصور وعبادتها قبل القرن السادس الميلادي

وبهذه الشهادة التاريخية يتبين أن عقيدة الصليب تولدت عند النصارى بعد زمن المسيح بثلاثة أجيال ، ومن ثم أنكروها كثير من الفرق النصرانية القديمة شأنها شأن عقيدة تثليث وإسحاق ، سبق سرد مقتطفات مما ورد في تنقيح هذه الفرية الفسادة والافتكار المتهافنة ، وهذه الفلسفة الصالحة التي تحمل بين طياتها أدلة فسادها وحيلاتها لأنهم يدّعون بقاء عقل واسطى ويريدون على الصليب الإنساني أهم شيء في حياة الإنسان وهو العقيدة

رأى بعض الفلاسفة في عقيدة الصليب

وجذب فرق كثيرة من فرق النصارى ترفض وقور الصلب للمسيح رفضاً كلياً ، لأن البعض منهم كان بعده غاية لشرف المسيح ، والبعض الآخر كان يرفضه استناداً لتأريخية التي ألمحت إليها سابقاً .

هذه الفرق التي أنكروا حادثة الصلب المرفيوسيون ، ثابيون والبولسيت والنوستية وعلى رأسهم فرقة الفوسطيين واديوع وأبهم حتى لأن كتب كثير من انصارى عنهم وعلى رأس هؤلاء القس ، هومن سمعان ، الذي كتب كتاباً بعنوان (صلب المسيح وأراء الفلاسفة الفوسطيين) عرف فيه هذه الطائفة

قائلاً : الفوسطيون أو أهل المعرفة فرقة ظهرت في المدة الواقعة بين القرنين الثاني والرابع للميلاد . وهم أول من اعتنقوا بخدم صليب المسيح ، واستل اعتقادهم

(١) سفر التثنية (٢٧)

(٢) سفر خروج (٢٠: ١-٥)

هذا إلى بعض الذين رفضوا الوثنية واعتقدوا المسيحية في القرون الأولى .. وأول من عرف من الفنوسطيين شيئا من المسيحية شخصا يدعى « ميمون » من بلاد السامرة .

وذهب هؤلاء إلى أن المسيح لم يصلب ، وأن الذي صلب هو شخص غيره خيل لليهود أنه المسيح ... ثم يقول المؤلف : ومن ثم أطلق المؤرخون على الفنوسطيين اسم « المنسبحة » ولا تزال إلى وقتنا الحاضر جماعة في أمريكا تؤمن لأراء الفنوسطيين هي « سفل الأخوة العظيم الأبيض » (١) .

ثم مرض القس « عوض سمعان » آراء بعض من زعماء تلك الفرقة فقال : « إن مرقيون الذي كان في القرن الثاني كانت عقيدته أن الذي صلب ليس المسيح بل شخص غيره ظن اليهود أنه المسيح ، أما المسيح نفسه فقد رفعه الله إلى السماء سائما » .

وقال نطانيوس : « في أواخر القرن الثاني ، لما أخذ المسيح يوبخ اليهود على شرفهم وأثامهم ، مدوا أيديهم إليه لكي يقتلوه فوقعت على شخص آخر ظنوا أنه المسيح ، أما المسيح نفسه فقد صعد إلى السماء سائما كما نزل سائما عنها » .

وبال ماني في القرن الثالث : « عد اليهود أيديهم - إلى المسيح - لكي يصلبوه فوقعت على شخص كان قد أساء إليه من قبل ظنوا أنه المسيح فأنزوه وصلبوه ، أما المسيح نفسه فقد رفعه الله إليه دون أن يصيبه سوء ، هذا بعض ما نقله القس « عوض سمعان » عن طوائف النصارى في القرون الأولى .. وكلها تنكر حادثة الصلب ، ونزه المسيح عليه السلام مما ألحقه النصارى به .. وهذه شهادة توافق ما جاء في إنجيل برنابا ، هذا الإنجيل الذي كتبه أحد حوارى المسيح كما يعتقد النصارى في برنابا .

أضف إلى ما سبق شهادة برنابا في إنجيله أن المسيح ما قتل وما صلب ولكنه رفع .

وبرنابا هذا كان أحد الحواريين والمعروف عند النصارى « بابن الواعظ » بعد أن كان اسمه يوحنا ، وهو الذي كان يعظ الناس بل ويقدم الوعظ للناس وهو الذي قدم بواس للناس كما جاء في نصوص الأناجيل (٢) .

(١) صلب المسيح وآراء الفلاسفة الفنوسطيين ص ٢-١١ بايجاز القس عوض سمعان ، المطبعة الفنية الحديثة سنة ١٩٧١ م .

(٢) تراجع في هذا أعمال الرسل (٤ ، ١ ، ١٢) ، وفاسوس الكتاب المقدس ص ١٧٨ في ترجمة برنابا ، مجموعة من أساتذة اللاهوت - مجمع الكنائس ، طبعة ثانية سنة ١٩٧١ م .

جاء في إنجيل برنابا [ولا دنت الجند مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع
جاء في إنجيل برنابا [ولا دنت الجند مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع
ورأى الله الخطر على عبده ، أمر جبريل وميخائيل وزقائيل وعزرائيل سقواه أن
ياخذوا يسوع من العالم فجاء الملائكة الاطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة
على الجثوب (١) .

وليه أيضاً : « ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أوسع منها يسوع وكان التلاميذ
كلهم نياما ، فأتى الله العجيب بأمر عجيب ، فتغير يهوذا (٢) في النطق وفي الوجه
فصار شبيهاً بيسوع حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع .. إلى غير ذلك من الشواهد
الكثيرة التي ذكرت في هذا الإنجيل والتي تدل دلالة قاطعة على أن الذي صلب
ليس هو المسيح ولكنه شخص آخر عرفه الإنجيل بأنه يهوذا أما المسيح فقد رفعه
الله إليه وهذا ما شهد به القرآن الكريم .

* * *

وجاء القرآن الكريم ينفي الصلب عن عيسى عليه السلام ويبين أنه رفع :

القرآن الكريم وهو الكتاب الخاتم والمهيمن على ما تقدمه من كتب نزلت من عند
الله عز وجل قد بين الحقائق كاملة في أمر عيسى عليه السلام .. فعيسى عليه
السلام قد جعله الله آية ، كما قال سبحانه { ولنجعل آية للناس } (١) .
ومن لوازم الآية أنها تكون على خلاف ما يعهده البشر .. فاقترضت إرادة الله أن
ينطق عيسى وهو في المهد صبياً ويتحدث عن يوم ميلاده ويوم موته .. ويوم بعثه
ثلاثة أيام يصورها بالآلاف واللام في كلمة السلام من هذه الأيام الثلاثة فقال تعالى
على لسان عيسى : { والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً } (٢) فقد
برأ الله نبيه عيسى عليه السلام مما سيتحدث عنه البشر فقد قالوا لأمه ساعة
ولادته : { يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً } (٣) فبرأها

(١) إنجيل برنابا [٢١٥ : ١ - ٥] .

(٢) سورة مريم من الآية / ٢١ ..

(٣) سورة مريم الآية / ٢٢ .

(٤) سورة مريم الآية / ٢٨ .

الله من البغاء والزنا والسفاح مبيناً أن عيسى عليه السلام إنما جاء كذلك لأمر
أراد الله عز وجل وأمره دائماً (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون)^(١) ثم
إن القوم جعلوها « أى مريم » بعد ذلك إلهاً وأنها ولدت عيسى الإله من أجل ذلك
تحدث عيسى عن يوم الولادة ليتلقى تلك الشبهة ويزيل هذه الأباطيل ، كما
تحدث عن يوم موته .. ليرد على حادثة الصلب مبيناً أنه ساعة موته لم وإن تعتد
إليه يد يسوء .. وكيف يمتد إليه السوء وهو رسول من عند الله جعله آية : فى
خلقه ، وحمله ، وولادته ، وبعثه ، ومعجزاته ، ورفعه إلى السماء ..
شأن عيسى كله كان على نحو لم يعرفه البشر من قبل .

فقد كان خلق عيسى عن طريق النفخ لأن القوم كانوا ينكرون وجود الروح .
ومن ثم ناسب أن يكون عيسى نفسه عن طريق نفخ الروح .

وجاءت معجزاته كذلك على هذا النحو لأن القوم الذين أرسل إليهم عيسى كما
أنكروا وجود الروح .. أنكروا ما يترتب عليها وهو البعث وما فيه من حساب وجنة
ونار .. ومن أجل ذلك كان كلام عيسى وهو فى المهد عن يوم بعثه أيضاً ليبين أن
الله هو الذى خلقه وهو الذى سميته ثم يبعثه نوباً أن تمتد إليه يد يسوء فى هذه
الأيام الثلاثة ، وهذا ما أثبتته القرآن الكريم مفصلاً قال تعالى : (ويكفرهم ويقولهم
على مريم بهتاناً عظيماً .. ويقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله .. وما
قتلوه وما صلبوه ولكن شبه بهم .. وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به
من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً .. بل رجمه الله إليسه وكان الله عزيزاً
حكيماً)^(٢) .

ومن هنا ذهب جمهور المسلمين من الصحابة والتابعين وعلماء الأمة إلى القول
برفع المسيح عليه السلام حياً وأنه ما صلب ولكن الله أنجاه من كيد اليهود يدل
على ذلك قوله تعالى : (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) إذ قال الله يا عيسى
إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا)^(٣) .

وقد جاء فى إنجيل لوقا قول الملك ليريم : (ها أنت ستحبلين وتلدن إبناً وتسمينه
يسوع هذا يكون عظيماً)^(٤) .

(١) سورة مريم من الآية / ٣٥ .

(٢) سورة النساء / ١٦٥ ، ١٧٥ .

(٣) سورة آل عمران / ٥٢ ، ٥١ .

(٤) إنجيل لوقا (١ : ٣١ ، ٣٢) .

وهذا نقبض ما ذكرته أناجيلهم المعتمدة لديهم في وصف ما حدث للشخص المصلوب من تتويجه بإكليل من الشوك ، وجذبه ، وضربه ، وإطعمه ، والبصق على وجهه ... الخ

إن هذا لا يليق بهامة الناس .. فكيف بالمسيح الذي هو نبي ورسول عندنا نحن المسلمين ، وكيف يليق أن يفعل به ذلك ثم يصلب وهو إله عند النصارى ، إن شخصاً له مثل هذه المكانة وتلك العظمة لابد أن يحميه الله من هذه الإهانات وأن يحفظه ويحفظه من البشر فلا تمتد إليه يد بسوء ولا صلب ؛ فيكون وجهها عند الله وعند الناس .. وهذا ما أخبر به الحق تبارك وتعالى مريم أم المسيح إذ نافتها الملائكة [يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمع المسيح همتي ابن مريم وجهي في الدنيا والآخرة ومن المقربين .. ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين]^(١) وبعد ما تقدم أقرر أنني تنازلت القضية الصلب المزعومة بأنها لعداء بني البشر لأنها من أهم العقائد النصرانية .

وهذه القضية لم تكتسب أهميتها من أنها جريمة قتل وقعت على نبي من أنبياء الله .. فإن كثيرين من الأنبياء قد رحلوا عن هذا العالم نتيجة لهذه الجريمة ، ولو أن المسيح صلب حقيقة لما كان ذلك شيئاً فوق الإمكان ، لأن كثير من الأنبياء قد قتلوا بيد اليهود من أمثال : يحيى ، وزكريا ، وحزقيال وغيرهم .

ولكن هذه القضية اكتسبت أهميتها من حيث أنها جعلت أساساً يقوم عليها دين .. وتبني عليه عقيدة .. حيث أن عقيدة النصارى في صلب المسيح كانت أساساً وبداية لعظه إلهياً ، وأساساً للتثليث ، وأساساً لاتخاذ الصليب رمزاً مقدساً للنصرانية كلها كدين ، ويكفى أن نعرف أن الصليب الذي يعتقدون أن المسيح قتل عليه أصبح رمزاً مقدساً عندهم ، وهو رمز التثليث ، وهو كذلك رمز للمذبح الذي ذبح عليه المصوم ، وهو كذلك رمز لأكبر فاجعة وقعت في تاريخ البشرية ، وهو كذلك أساس الكنيسة ومصاد الإنجيل ورمز الحياة الأبدية^(٢) .

لذلك تناولتها أولاً بالعرض والتفنيد قدر استطاعتي في هذه المجلة لما عند القوم وبيان ما جاء به القرآن دستور الإسلام الخالد في تلك القضية ومواقفه الرافض لها .. ولحق بهذه القضية ما بني عليها من التثليث ليقلب القارئ الكريم على أسبابها ، وما قيل فيها - لها أو عليها - وبترك له الحكم ؟؟

(١) سورة آل عمران / ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) الإنجيل والصلب ص ٦ القس عبد الأحد داود ، ترجمة مسلم العراقي سنة ١٣٥١ هـ .